

المشهورون بالتفسير من الصحابة

اشتهر بالتفسير جماعةٌ من الصحابة، ذكر السيوطيُّ منهم: الخلفاء الأربعة: أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليًّا - رضي الله عنهم -، إلا أن الرواية عن الثلاثة الأولين لم تكن كثيرةً، لانشغالهم بالخلافة، وقلة الحاجة إلى النقل في ذلك، لكثرة العالمين بالتفسير.

ومن المشتهرين بالتفسير من الصحابة أيضًا: عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، فلنترجم حياة علي بن أبي طالب مع هذين - رضي الله عنهم -.

الشرح

لا شك أن الصحابة - رضي الله عنهم - هم أعلمُ الناس بتفسير كلام الله، لكن اشتهر منهم أناسٌ كالخلفاء الأربعة: أبي بكر وعمر وعثمان وعليٌّ - رضي الله عنهم -، ولكنَّ النقل عن الثلاثة الأولين قليلٌ؛ لأنهم مشغولون بالخلافة؛ ولأن الناس ليس عندهم جهلٌ كثير بمعاني القرآن، فليسوا بحاجة إلى أن يفسروه، ومن المشتهرين أيضًا عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس.

١- علي بن أبي طالب:

هو ابن عم الرسول ﷺ، وزوج ابنته فاطمة - رضي الله عنه وعنهما -، وأول من آمن به من قرابته، اشتهر بهذا الاسم. وكنيته أبو الحسن، وأبو تراب.

الشرح

أما كونه أول من آمن من قرابته فهذا هو الصواب، فإن أول من آمن به من قرابته هو علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، وليس هو الأول على الإطلاق، بل الأول على الإطلاق هو أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-، بل قبل أبي بكر ورقة بن نوفل؛ لأن النبي ﷺ لما قصَّ على ورقة ما رآه من الوحي آمن به، وقال: «ليتني كنت فيها جذعًا، ليتني معك إذ يخرجك قومك»^(١) فأقرَّ واعترف، لكن ذلك قبل الرسالة، فلهذا نقول: أول من آمن بنبوته من الرجال هو ورقة بن نوفل.

فإن قيل: هل هو صحابي أم لا؟

قلنا: هو آمن قبل الرسالة.

فإذا قلنا: إن من آمن به نبيًا فهو صحابي، وإذا قلنا: لا يكون صحابيًا إلا حيث تُوجَّه إليه الدعوة، وذلك بعد رسالة النبي -عليه الصلاة والسلام- لم يكن من الصحابة، لكن أول من آمن به من الرجال بعد الرسالة هو أبو بكر، كما أقرَّ بذلك علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-.

أما من قرابة الرسول فأول من آمن به هو علي بن أبي طالب.

وكُنيتُه أبو الحسن؛ لأن أكبر أولاده الحسن، وأبو تراب؛ لأن النبي ﷺ كناه بذلك، حين جاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، رقم (٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (١٦٠).

شَقَّهِ، وَأَصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ: «قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ»^(١)، فَكُنِّيَ بِذَلِكَ، وَكَانَ أَحَبَّ الْكُنِّيَّاتِ إِلَيْهِ.

وُلِدَ قَبْلَ بَعَثَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِعَشْرٍ سِنِينَ، وَتَرَبَّى فِي حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَشَهِدَ مَعَهُ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَكَانَ صَاحِبَ اللِّوَاءِ فِي مَعْظَمِهَا، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، خَلَفَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَهْلِهِ، وَقَالَ لَهُ: «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^(٢).

الشرح

فَقَوْلُهُ: «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي...» لِأَنَّ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- قَالَ لِهَارُونَ: قَالَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي، وَاصْبِرْ، وَالرَّسُولُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قَالَ لِعَلِيِّ: اخْلُفْنِي فِي أَهْلِي، فَكَانَ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى فِي خِلَافَتِهِ فِي أَهْلِهِ، لَا فِي الْخِلَافَةِ الْمَطْلُوقَةِ كَمَا زَعَمَتِ الرَّافِضَةُ، بَلْ هُوَ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى فِي هَذِهِ الْخِلَافَةِ فَقَطْ، وَذَلِكَ أَنَّ عَلِيًّا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَدْعُنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ: «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»، وَعَلَى هَذَا فَهِيَ خِلَافَةٌ مَخْصُوصَةٌ مَقْصُورَةٌ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ نَوْمِ الرِّجَالِ فِي الْمَسْجِدِ، رَقْمٌ (٤٤١)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ مَنْ فَضَّلَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، رَقْمٌ (٢٤٠٩).
(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْمَغَازِي، بَابُ غَزْوَةِ تَبُوكَ، رَقْمٌ (٤٤١٦)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ فَضَائِلِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، رَقْمٌ (٦٢١٨).

نُقل له من المناقب والفضائل ما لم ينقل لغيره، وهلك به طائفتان: النواصب الذين نصبوا له العداوة، وحاولوا إخفاء مناقبه، والروافض الذين بالغوا فيما زعموه من حبه، وأحدثوا له من المناقب التي وضعوها ما هو في غنى عنه، بل هو عند التأمل من المثالب.

الشرح

إذن: الروافض الذين بالغوا فيما زعموه من حبِّ عليٍّ - رضي الله عنه -، وقوله: «فيما زعموه»؛ لأن هذا هو الذي يظهره، لكن حقيقة الأمر أنهم يخالفونه في أشياء، فهو - رضي الله عنه - يُعلن من على منبر الكوفة، أن خير هذه الأمة أبو بكر ثم عمر^(١)، وهم يقولون: إنه ليس بصحيح، وهو - رضي الله عنه - ممن روى أحاديث المسح على الخفين، والروافض لا يقبلون هذا، ولا يرون المسح على الخفين، فلذلك عبر عن ذلك بهذا التعبير «فيما زعموه من حبه».

«وأحدثوا له من المناقب التي وضعوها ما هو في غنى عنها، بل هو عند التأمل من المثالب»، ومن ذلك أنهم قالوا: إنه - رضي الله عنه - كان يصلي فيما بين صلاة المغرب والعشاء ألفَ ركعةٍ، وعدُّوا ذلك من مناقبه، وقالوا: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]. قالوا: إن هذا عليُّ بن أبي طالب، والحقيقة أن هذه من المثالب، فكونه يصلي بين المغرب والعشاء ألفَ ركعة، كيف تكون القراءة، وكيف يكون الركوع، وكيف يكون السجود،

(١) أخرجه ابن عساكر (١٩٦/٤٤)، وقال: المحفوظ موقوف، وأخرجه ابو نعيم في الحلية (٢٠١/٧)، وأبو يعلى (٤١٠/١)، رقم (٥٤٠).

ولهذا قال شيخ الإسلام في رده في المنهاج: «إذا قلتُم هذا فهذه من أكبر المثالب، وإذا كان الرسول ﷺ قال للأعرابي: «إِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»^(١)، فهذا أيضًا لم يُصَلِّ فلا تُقبل صلاته»^(٢)، كذلك أيضًا كونه يؤدي الزكاة وهو راکعٌ، فهذا مثلبة لا منقبة؛ لأن الزكاة تؤدَّى في غير وقت الصلاة؛ لأنها لا تفوت، فكونه يتحرك ويأتيه فقيرٌ وهو راکعٌ، ثم يُعطيه هذه ليست منقبةً.

اشتهر -رضي الله عنه- بالشجاعة والذكاء مع العلم والذكاء، حتى كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يتعوذ من معضلة ليس لها أبو حسن^(٣)، ومن أمثلة النحويين: «قضية ولا أبا حسن لها»^(٤).

الشرح

وهذا معروف فهو من أذكى الرجال، ومن أعقل الرجال أيضًا، وكان أمير المؤمنين عمر -رضي الله عنه- يُعظِّمُهُ ويُجِلُّهُ، ويتعوذ من معضلة ليس لها أبو حسن، والمعضلة يعني: المسألة المشكلة التي تعضل الإنسان، وتقطع تفكيره، إن لم يكن لها أبو حسن، فإن كان لها أبو حسن فرجت.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات، رقم

(٧٥٧)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم (٣٩٧).

(٢) منهاج السنة النبوية (٤ / ٢٨).

(٣) الاستيعاب في أسماء الأصحاب على حاشية الإصابة (٣ / ٣٩)، وتهذيب الكمال (٢٠ / ٤٨٥).

(٤) ذكره سيبويه في كتابه (١ / ٣٥٥)، وذكره ابن الأثير في أسد الغابة (٤ / ٢٨).

وروي عن علي - رضي الله عنه - أنه كان يقول: «سلوني سلوني وسلوني عن كتاب الله تعالى، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار»^(١)، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «إذا جاءنا الثبت عن علي لم نعدل به»^(٢)، وروي عنه أنه قال: «ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب»^(٣).

كان أحد أهل الشورى الذي رشحهم عمر - رضي الله عنه - لتعيين الخليفة، فعرضها عليه عبد الرحمن بن عوف فأبى إلا بشروط لم يقبل بعضها، ثم بايع عثمان فبايعه عليّ والناس، ثم بُوع بالخلافة بعد عثمان حتى قُتل شهيداً في الكوفة ليلة السابع عشر من رمضان، سنة أربعين من الهجرة - رضي الله عنه -.

٢ - عبد الله بن مسعود:

هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، وأمه أمّ عبدٍ كان يُنسب إليها أحياناً^(٤)، وكان من السابقين الأولين في الإسلام، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا، وما بعدها من المشاهد.

تلقى من النبي ﷺ بضعة وسبعين سورة من القرآن، وقال له النبي ﷺ في أول الإسلام: «إِنَّكَ لَغُلَامٌ مُعَلَّمٌ»^(٥)، وقال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢/ ٢٤١-٢٤٢)، وابن حجر في الفتح (٨/ ٥٩٩).

(٢) الإصابة (٢/ ٥٠٢)، وتهذيب التهذيب (٢٢/ ٣٣٧)، وتهذيب الكمال (٢٠/ ٤٨٦).

(٣) المحرر الوجيز (١/ ٣٩).

(٤) وذلك لأن أباه مات في الجاهلية، وأدركت أمّه الإسلام فأسلمت.

(٥) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٩، ٤٦٢).

عَضًا كَمَا أَنْزَلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ^(١)، وفي «صحيح البخاري»^(٢) أن أن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: لقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله، وقال: والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه.

الشرح

وهذا الكلام لا شك فيه من أن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - لا يريد أن يُزَكِّي نفسه؛ لأنه أظهر من ذلك، لكنه أراد أن يحث الناس على تلقي التفسير عنه؛ لأنَّ النَّاسَ إِذَا عَلِمُوا أَنَّهُ بِهِذِهِ الْمَنْزِلَةَ مِنَ الْعِلْمِ أَكْبَرُوا عَلَيْهِ، وأخذوا منه، وهذا يقع لمن هو دون ابن مسعود - رضي الله عنه -، فانظر إلى ابن مالك يقول في ألفيته^(٣):

تُقَرَّبُ الْأَقْصَى بِلَفْظٍ مُوجَزٍ وَتَبْسُطُ الْبَدَلِ بِوَعْدٍ مُنْجَزٍ
وَتَقْتَضِي رِضًا بَعِيرٍ سُخْطٍ فَائِقَةُ أَلْفِيَّةِ ابْنِ مُعْطِي

فضلها حتى في التعيين لكنه استدرك، وقال:

وَهُوَ بِسَبْقِ حَائِزٌ تَفْضِيلًا مُسْتَوْجِبٌ ثَنَائِي الْجَمِيلًا
وَاللَّهُ يَقْضِي بِهِبَاتٍ وَافِرَهُ لِي وَلَهُ فِي دَرَجَاتِ الْآخِرَهُ

(١) أخرجه ابن ماجه: رقم (١٣٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب رسول الله ﷺ، رقم (٥٠٠٠).

(٣) البيتان (٤، ٥).

والمحشون الذين يُنقبون عن الوسخ تحت الأظفار قالوا: إن ابن مالك أخطأ؛ لأنه قال: «لي وله في درجات الآخرة» ولم يقل وللمسلمين، فسبحان الله، ألم تعلموا أن موسى قال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾ [الأعراف: ١٥١]، ألم تعلموا أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- أحياناً يدعو لنفسه وحده، وهل قال ابن مالك: «والله يقضي بهبات وافرة لي وله في درجات الآخرة، ولا يقضي بها لغيرنا»، كما قال الأعرابيُّ للرَّسُول -عليه الصلاة والسلام-: «اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً»^(١).

الجواب: لا، لكن هذا دعاءً لنفسه ولابن معطي، ولا يضر؛ لأنه لم يقصد الفخرَ على ابن معطي، ولم يرد أن يزكي نفسه، وهذا ما نعلم من حاله، وإنما أراد بذلك أن يُقبل الناس على هذا النظم، ويأخذوا به، المهم أن الإنسان إذا قصد بما يتحدث به عن نفسه حثَّ الناس على العلم وترغيبهم في ذلك، فلا حرج عليه، والله تعالى أعلم بالنيَّات، وكم من كلمة أو فعلٍ صدر من إنسانين بينهما كما بين السماء والأرض!

وكان ممن خدم النبي ﷺ فكان صاحبَ نَعْلَيْهِ، وطهوره، ووساده، حتى قال أبو موسى الأشعري: قدمتُ أنا وأخي من اليمن، فمكثنا حيناً ما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي ﷺ؛ لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي ﷺ^(٢)، ومن أجل ملازمته النبي ﷺ تأثر به وبهديه،

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم (٦٠١٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة -رضي الله عنها-، رقم

حتى قال فيه حذيفة: «ما أعرف أحداً أقرب هدياً وسمتاً ودلاً بالنبي ﷺ من ابن أم عبد»^(١).

بعثه عمر بن الخطاب إلى الكوفة، ليُعَلِّمَهُمُ أمورَ دينهم، وبعث عماراً أميراً، وقال: إنها من النجباء من أصحاب محمد ﷺ، فاقتدوا بهما، ثم أمره عثمانُ على الكوفة، ثم عزله، وأمره بالرجوع إلى المدينة، فتوفي فيها سنة اثنتين وثلاثين، ودُفِنَ بالبقيع وهو ابنُ بضعٍ وسبعين سنةً.

الشرح

«صاحب نعليه» يعني: يحمل النعلين إن استغنى عنهم النبي ﷺ، كذا أيضاً «الطهور» أي الماء الذي يتطهر به الرسول ﷺ، و«وساده» الوسادة التي يتكى عليها.

قال فيه حذيفة -رضي الله عنه-: «ما أعرف أحداً أقرب هدياً وسمتاً ودلاً بالنبي ﷺ من ابن أم عبد»، ولقد صدق حذيفة -رضي الله عنه- وهذا صحيح، حتى: إن كلامه -رضي الله عنه- يشبه كلام النبي ﷺ، فإن آثار ابن مسعود -رضي الله عنه- أحياناً يسمعها المرء فيقول: إنها خارجةٌ من مشكاة النبوة، وقرأ ما رواه مسلمٌ في كتاب الصلاة «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ... إلخ»^(٢)، فإنك إذا قرأته

= (٣٧٦٣)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب في فضائل عبد الله بن مسعود وأمه -رضي الله عنها-، رقم (٢٤٦٠).

(١) أخرجه البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة، رقم (٢٧٦٢).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب صلاة الجماعة من سنن الهدي، رقم (٦٥٤).

قلت: هذا من كلام النبي -عليه الصلاة والسلام-؛ لأنه خالط النبي -عليه الصلاة والسلام- كثيراً، وكما قال أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه-: إنه بقي زمناً يظن أن ابن مسعود من آل بيت النبي -صلى الله عليه وسلم-.

بَعَثَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى الْكُوفَةِ لِيُعَلِّمَهُمْ.

٣- عبد الله بن عباس:

هو ابن عمِّ رسول الله ﷺ، وُلِدَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ، لَازَمَ النَّبِيَّ ﷺ لِأَنَّهُ ابْنُ عَمِّهِ، وَخَالَتَهُ مَيْمُونَةُ تَحْتَ النَّبِيِّ ﷺ، وَضَمَّهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْحِكْمَةَ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «الْكِتَابَ»^(١)، وَقَالَ لَهُ حِينَ وَضَعَهُ لَهُ وَضُوءَهُ: «اللَّهُمَّ فَتِّهِ فِي الدِّينِ»^(٢)، فَكَانَ بِهَذَا الدُّعَاءِ الْمُبَارَكِ حَبْرَ الْأُمَّةِ فِي نَشْرِ التَّفْسِيرِ وَالْفِقْهِ، حَيْثُ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْحِرْصِ عَلَى الْعِلْمِ وَالْجِدِّ فِي طَلْبِهِ وَالصَّبْرِ عَلَى تَلْقِيهِ وَبِذَلِكَ، فَنَالَ بِذَلِكَ مَكَانًا عَالِيًّا، حَتَّى كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يَدْعُوهُ إِلَى مَجَالِسِهِ وَيَأْخُذُ بِقَوْلِهِ، فَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ: أَلَا تَدْعُو أَبْنَاءَنَا كَمَا تَدْعُو ابْنَ عَبَّاسٍ؟! فَقَالَ لَهُمْ: «ذَا كَمِ فِتْيَ الْكُهُولِ، لَهُ لِسَانُ سَوْوَلٍ، وَقَلْبُ عَقُولٍ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر ابن عباس -رضي الله عنهما-، رقم (٣٧٥٦).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، باب وضع الماء في الخلاء، رقم (١٤٣).

(٣) البداية والنهاية (٨/ ٣٢١)، ورواه الحاكم في مستدرکه (٣/ ٥٣٩)، كتاب معرفة الصحابة، ذكر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. وقال الذهبي: منقطع.

ثم دعاهم ذات يوم فأدخله معهم ليريهم منه ما رآه، فقال عمر: ما تقولون في قول الله - تعالى -: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا فُتِح علينا، وسكت بعضهم، فقال عمر لابن عباس: أكذاك تقول؟ قال: لا، قال: فما تقول؟ قال: هو أجلُّ رسولِ الله ﷺ، أعلمه الله له إذا جاء نصرُ الله، والفتحُ فتح مكة، فذلك علامة أجلك، فسبِّح بحمد ربك، واستغفره إنه كان توابًا، قال عمر: «ما أعلم منها إلا ما تعلم»^(١).

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه -: «لِنِعْمِ ثُرُجْمَانِ الْقُرْآنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، لَوْ أَدْرَكَ أَسْنَانَنَا مَا عَاشِرَهُ مِنَّا أَحَدٌ»^(٢)، أي ما كان نظيرًا له، هذا مع أن ابن عباس عاش بعده ستًّا وثلاثين سنة، فما ظنُّك بما اكتسب بعده من العلم.

الشرح

وهذا أيضًا صحيحٌ، هذا كلام ابن مسعود - رضي الله عنه - قبل أن يموت ابنُ عباس بأكثر من ستِّ وثلاثين سنة، فما ظنُّك فيما اكتسبه بعده من العلم في تفسير القرآن وغيره، فلا شك أنه كثير.

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٦٢٧).

(٢) البداية والنهاية (١٢/٨٨)، وتفسير الطبري (١/٩٠).

وقال ابن عمر لسائل سأله عن آية: «انطلق إلى ابن عباس فاسأله؛ فإنه أعلم من بقي بما أنزل على محمد ﷺ»^(١)، وقال عطاء: «ما رأيت قطُّ أكرم من مجلس ابن عباس فقهاً وأعظم خشية، إن أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب الشعر عنده، يصدرهم كلهم من وادٍ واسع»^(٢).

وقال أبو وائل: «خطبنا ابنُ عباس وهو على الموسم «أي: وهو والٍ على موسم الحج من عثمان -رضي الله عنه-» فافتتح سورة النور، فجعل يقرأ ويفسر، فجعلت أقول: ما رأيتُ، ولا سمعتُ كلامَ رجلٍ مثله، ولو سمعته فارس والروم والتُّرك لأسلمت»^(٣)، ولأه عثمان على موسم الحج سنة خمس وثلاثين، وولاه عليٌّ على البصرة، فلما قُتل مضى إلى الحجاز، فأقام في مكة، ثم خرج منها إلى الطائف، فمات فيها سنة ثمانٍ وستين، عن إحدى وسبعين سنة.

الشرح

هذا العلمُ الغزير، وهذه الروايات عن رسول الله ﷺ من هذا الرجل الذي وفَّقه الله، الذي قد مات في الطائف -رضي الله عنه-، وقبره يُقال أنه في المكان الذي يُسمَّى مسجد ابن عباس، وهو مسجدٌ مشهورٌ كبيرٌ وسطَ الطائف، والله أعلم.

(١) الدر المنثور (٢/ ٩٠)، وتفسير الطبري (٣/ ٢٣٣).

(٢) تاريخ بغداد (١/ ١٧٥)، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١٤٨).

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٣٦)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٤٦).

المشهورون بالتفسير من التابعين

اشتهر بالتفسير من التابعين كثيرون، فمنهم:

أ- أهل مكة؛ وهم أتباع ابن عباس، كمجاهد، وعكرمة، وعطاء ابن أبي رباح.

ب- أهل المدينة؛ وهم أتباع أبي بن كعب، كزيد بن أسلم، وأبي العالية، ومحمد بن كعب القرظي.

ج- أهل الكوفة؛ وهم أتباع ابن مسعود، كقتادة، وعلقمة، والشعبي.

فلنترجم لحياة اثنين من هؤلاء: مجاهد وقتادة.

١- مجاهد:

هو مجاهد بن جبر المكي، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، ولد سنة إحدى وعشرين من الهجرة، وأخذ تفسير القرآن عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، روى ابن إسحاق عنه أنه قال: «عَرَضْتُ المصحفَ على ابن عباس ثلاثَ عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية وأسأله عنها»^(١)؛ وكان سفيان الثوري يقول: «إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به»^(٢)، واعتمد تفسيره الشافعيُّ والبخاريُّ، وكان كثيرًا ما ينقل عنه في صحيحه، وقال الذهبي في آخر ترجمته: «أجمعت الأمة على إمامة مجاهد

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٧٩-٢٨٠)، والذهبي في السير (٤/ ٤٥٦-٤٥٧).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٩١)، رقم (١٠٩).

والاحتجاج به»^(١)، تُؤفِّي في مكة وهو ساجدٌ سنة أربع ومئة، عن ثلاث وثمانين سنة.

٢- قتادة:

هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري، وُلد أكمه، أي: أعمى، سنة إحدى وستين، وجدَّ في طلب العلم، وكان له حافظة قوية حتى قال عن نفسه: «ما قلت لمحدِّثٍ قطُّ: أعد لي، وما سمعت أذناي شيئاً قط إلا وعاه قلبي»^(٢)، وذكره الإمام أحمد فأطرب في ذكره، فجعل ينشر من علمه وفقهه ومعرفته بالاختلاف والتفسير، ووصفه بالحفظ والفقه، وقال: «قلماً تجد من يتقدَّمه، أما المثل فلعلَّ»^(٣).

الشرح

فقوله: «قلماً تجد من يتقدمه» يعني، لم يكن أعظم منه، أما «المثل فلعلَّ» ما جزم بأن يكون له مثيل.



(١) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٤٠).

(٢) التقييد لعروفة رواية السنن والمسانيد (١/ ٣٦٠)، وتهذيب التهذيب (٢٧/ ٥٠)، وتهذيب الكمال (٢٣/ ٥١٢).

(٣) الجرح والتعديل (٧/ ١٣٤)، وتهذيب التهذيب (٢٧/ ٥٠).

وقال: «هو أَحْفَظُ أهل البصرة، لم يسمع شيئاً إلا حَفِظَهُ»^(١)، وتُوفِّي في
واسط سنة سبع عشرة ومئة، عن ستة وخمسين سنة.

الشرح

فهو صغيرٌ رحمه الله، وقد رُمي بالتدليس، لكن يقولون: إن رواياته
بلفظ (عن) عن أنس بن مالك متصلَّةٌ، ولهذا يروي عنه البخاريُّ ومسلم
بهذه الصيغة، أي: عن أنس.

(١) الجرح والتعديل (٧/١٣٤)، وتذكرة الحفاظ (١/٩٣)، وتهذيب الكمال (٢٣/٥١٥).

رَفَعُ
عبد الرحمن العجزي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القرآن محكم ومتشابه

- ١- موقف الراسخين في العلم والزائغين من المتشابه.
- ٢- أنواع التشابه في القرآن.
- ٣- الحكمة في تنوع القرآن إلى محكم ومتشابه.

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القرآن محكم ومتشابه

يتنوع القرآن الكريم باعتبار الأحكام والتشابه إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الأحكام العام؛ الذي وصف به القرآن كله، مثل قوله تعالى:- ﴿ كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴾ [هود: ١]، وقوله: ﴿ الرَّبُّ تَعَالَى آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ [يونس: ١]، وقوله: ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلَىٰ حَكِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٤].

ومعنى هذا الأحكام الإتقان والجودة في ألفاظه ومعانيه فهو في غاية الفصاحة والبلاغة، أخباره كلها صدق نافعة، ليس فيها كذب، ولا تناقض، ولا لغو لا خير فيه، وأحكامه كلها عدل، وحكمه ليس فيها جور، ولا تعارض، ولا حكم سفیه.

النوع الثاني: التشابه العام؛ الذي وُصف به القرآن كله، مثل قوله تعالى:- ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَقَّشَ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣] ومعنى هذا التشابه، أن القرآن كله يُشبهه بعضه بعضاً في الكمال والجودة والغايات الحميدة ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

النوع الثالث: الأحكام الخاص ببعضه، والتشابه الخاص ببعضه؛ مثل قوله تعالى:- ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ

مُتَشَبِهَةٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿آل عمران: ٧﴾.

ومعنى هذا الإحكام أن يكون معنى الآية واضحاً جلياً، لا خفاء فيه، مثل قوله - تعالى -: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]، وقوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وقوله: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣]، وأمثال ذلك كثيرة.

ومعنى هذا التشابه: أن يكون معنى الآية مشتبهاً خفياً، بحيث يتوهم منه الواهم ما لا يليق بالله تعالى، أو كتابه أو رسوله، ويفهم منه العالم الراسخ في العلم خلاف ذلك.

الشرح

وهذا الإحكام والتشابه في القرآن على ثلاثة أنواع: إحكام عام، وتشابه عام، وإحكام خاص، وتشابه خاص، وكله وُصِفَ به القرآن، قال - تعالى -: ﴿الرَّكَتُوبُ أَلَيْسَ الْكِتَابُ الْحَكِيمَ﴾ [يونس: ١]، أي المحكم، وهذا واضح أنه عام لكل القرآن.

وقال الله - تعالى -: ﴿الرَّكَتُوبُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، فقوله: ﴿أَحْكَمَتْ﴾ قيل: المعنى أتقنت، وقيل: المعنى أجملت، بدليل

قوله: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ والتفصيل جعله الله مقابلاً للإحكام، ولكن مع ذلك وحتى مع هذا الرأي لا يُمنع أن يكون محكماً متقناً على سبيل الإجمال والإتقان، ومفصلاً أيضاً.

قوله: ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ هو الله - عز وجل - ﴿حَكِيمٍ﴾ أي: ذو حكمة بالغة، ﴿خَيْرٍ﴾ أي: ببواطن الأمور، والعالمُ ببواطن الأمور عالمٌ بظواهرها سبحانه.

وقال - تعالى -: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤]، فأنت ترى أن القرآن كُلُّهُ وُصِفَ بالحكمة، وأنه حكيم، وحكيم بمعنى: محكم، وبمعنى: حاكم؛ لأن القرآن أداة الحكم، ومعنى هذا الإحكام: الإتقان والجودة في ألفاظه ومعانيه، فكلُّ محكمٍ متقن في أعلى ما يكون.

وهل هو يتفاضل في هذا الباب؟

الجواب: أما من حيث المتكلم به فإنه لا يتفاضل؛ لأن المتكلم به واحدٌ، هو الله - عز وجل -، وأما من حيث الأسلوب والمعنى: فإنه يتفاضل، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - حين سأل أبي بن كعب: «أَيُّ آيَةٍ أَعْظَمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟»، قال: آية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فضرب على صدره، وقال: «لِيُهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْدِرِ»^(١)، وقال في الفاتحة: «إِنَّهَا أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ»^(٢)، وقال في ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]:

(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين ومواضع السجود، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، رقم (٨١٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب وسميت أم الكتاب، رقم (٤٤٧٤).